إسهامات المرأة في الوقف والعمل الخيري حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة تطبيقية على طريق الحج العراقي (درب زبيدة) وتوفير الخدمات بمكة

محمد عبدالله أحمد القدحات

قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الدمام، المملكة العربية السعودية

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المرأة في العمل الخيري والوقف، وإسهامها جنبا إلى جنب مع الرجل في تشييد بنية الحضارة الاسلامية. لقد بذلت المرأة المسلمة جهودا كبيرة- خلال فترة الدراسة- في إنشاء وتعمير المؤسسات الخدمية التي تسهم في تطوير ورقي المجتمع، يدفعها إلى ذلك الرغبة في الثواب والأجر. ومن أشهر النسوة اللاتي أسهمن في هذا المجال سيدات البيت العباسي، أمثال: الخيزران وزبيدة.

تناولت الدراسة جهود المرأة في هذا المجال عبر محورين رئيسين:

المحور الأول: دور المرأة في إعمار طريق الحج العراقي بين الكوفة ومكة. وتمثلت تلك الجهود في تسهيل الطريق وإزالة العوائق التي تعترض الحاج، وكذلك إقامة الاستراحات، وحفر الآبار والبرك لتوفير المياه على طول الطريق.

أما المحور الثاني: أبرز إسهامات المرأة في توفير الخدمات للحجاج في مكة. فقد بذلت النساء غاية الجهد من توفير الخدمات للتخفيف على الحجاج، وخاصة توفير المياه في داخل مكة وفي المشاعر، في جبل عرفات وفي منى. كما شملت تلك الجهود توفير السكن للحجاج من خلال شراء البيوت ووقفها لهذه الغاية.

المقدمة:

الوقف لغةً: الحبس والمنع. وهو مصدر وقف، يقال: وقفت الدار، إذا حبستها[(1)]. ثم اشتهر الوقف بمعني الموقوف، من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول، كالرد والغيب فيقال: هذا البيت وقف، أي موقوف، ومن هنا جمع على أوقاف. ووقف الأرض على المساكين وللمساكين وقفا: حبسها ووقفت الدابة، والأرض وكل شيء. والأحباس

(1) الجرجاني، التعريفات، ص328

والأوقاف بمعنى واحد، غير أن الأولى شائعة عند المغاربة والثانية شائعة عند المشارقة. وحبس الفرس في سبيل الله وأحبسها، فهو محبس وحبيس، جمعه: حبس والأنثى حبيسة والجمع حِباس. وفي الحديث: "ذَلِكَ حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، أي موقوف على الغزاة، يركبونه في الجهاد[2].

والوقف عند الفقهاء– رغم اختلافهم في صيغ التعريف[3]- تُجمع بمجملها على الإطار العام للمفهوم، وهو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة. قال الرسول– صلى الله عليه وسلم- لعمر بن الخطاب– رضي الله عنه عندما جاء يستشيره بأرض أصابها بخيبر: "إن شئت حبست أصله، وسبلت ثمره"[4]. فالأصل في الوقف منع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء أو انتهاء[5]. فإذا كان من أول الأمر على جهة بر لا تنقطع، كمسجد أو مدرسة أو سبيل ماء، سمي وقفا خيرياً، وإذا كان جهة تحتمل الانقطاع كالذرية، سمي وقفا ذريا، أو أهليا[6].

لم يرد في القرآن الكريم نص للوقف بمعناه الاصطلاحي، إلا أن الفقهاء عدوه مشمولا بما جاء في الآيات التي تحث على الخير والإحسان، وترغِّب في الإنفاق في سبيل الله تعالى، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: { **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ** }[7] وقوله تعالى: { **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** }[8]. ومن السنة النبوية ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص374- 5، مادة (وقف).

(3) انظر تعريف الحنفية: ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج4، ص136. وتعريف المالكية لدى: الحطاب، مواهب الجليل، ج6، ص18. كذلك تعريف الشافعية في مغني المحتاج، ج2، ص367. أما تعريف الحنابلة فعند ابن قدامة المقدسي) المغني، ج8، ص184.

(4) صحيح البخاري، باب الشروط في الوقف، برقم2737؛ صحيح مسلم، باب الوصية رقم 1632.

(5) أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ص5.

(6) عشوب، كتاب الوقف، ص1.

(7) آل عمران: آية 92

(8) سورة سبأ: آية 39

اللّه عليه وسلم قال: {إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له}[9] فالصدقة الجارية في هذا الحديث تشمل ما وقفه الإنسان على سبيل التقرب إلى اللّه تعالى.

اختلفت الروايات في بدايات الوقف[10] إلا أن الثابت أن أول وقف في الإسلام كان وقف الرسول صلى اللّه عليه وسلم، فقد وقف في الإسلام سبعة حوائط[11] أوصى بها مخيريق[12] اليهودي لرسول اللّه يضعها حيث أمره اللّه، فجعلها- عليه الصلاة والسلام- صدقة جارية في سبيل اللّه[13].

وتسابق الصحابة- رضوان اللّه عليهم- تأسيا بالنبي صلى اللّه عليه وسلم بحبس أنفس أموالهم للبر والخير، وتتابعت أوقافهم في مرحلة مبكرة من التاريخ الإسلامي. ومن هؤلاء الصحابة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن

(9) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث 4223 "في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد الوفاة"؛ الترمذي، السنن، رقم الحديث 1376؛ النسائي، السنن، برقم 3561.

(10) اختلف المهاجرون والأنصار حول أول وقف في الإسلام، فذهب بعض المهاجرين إلى أن أول صدقة في الإسلام- هي صدقة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه. وقال الأنصار إن أول صدقة في الإسلام هي صدقة الرسول- صلى اللّه عليه وسلم- بأمواله لما قتل مخيريق اليهودي التي أوصى بها إلى النبي. لكن الرواية التي أوردها الخصاف تثبت أن وقف الرسول– صلى اللّه عليه وسلم- كان الأول. فقد أخرج الخصاف عن صالح بن جعفر عن المسور عن رفاعة بن كعب قال: "أول صدقة في الإسلام وقف رسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم- أمواله، فقلت لابن كعب: فإن الناس يقولون صدقة عمر أول، فقال: قتل مخيريق بأُحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجر رسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم- وأوصى إن أصبت فأموالي لرسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم- وتصدق بها، وهذا قبل ما تصدق به عمر، وإنما تصدق عمر سنة ثمان حين رجع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من خيبر سنة سبع من الهجرة". للمزيد، ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ج1، ص175؛ ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام، ج3، ص209؛ الخصاف، أحكام الأوقاف، ص1- 4؛ الطرابلسي، الإسعاف، ص7.

(11) الحائط: البستان. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص896 (مادة حوط).

(12) كان أحد كبار اليهود، ذا مال، خرج مع الرسول صلى اللّه عليه وسلم يوم أحد، وقاتل حتى قتل، وكان قد أوصى بأمواله للرسول يفعل بها ما يشاء. ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص131..

(13) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص131..

عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، ومعاذ بن جبل، وسعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن الزبير، وجابر بن عبد الله- رضوان الله عليهم- [14].

وما دام الحديث في هذه الدراسة مقصورًا على إسهامات المرأة في العمل الخيري والوقف، فلا بدّ من الإشارة إلى أن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم كُنَّ من أوائل النسوة اللاتي شاركن في هذا المجال. من ذلك ما روي في صدقة عائشة رضي الله عنها أنها اشترت دارا وكتبت في شرائها: " إني اشتريت دارا وجعلتها لما اشتريتها له، فمنها مسكن لفلان، ولعقبه ما بقي بعده إنسان، ثم يُرد ذلك إلى آل أبي بكر"[15].

وما روي في صدقة أم سلمة- رضي الله عنها- : حدثنا محمد بن عمر الواقدي، قال: حدثنا موسى بن يعقوب عن عمته عن أبيها، قال: "شهدت صدقة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم صدقة حبسا لا تباع ولا توهب"[16].

وكذلك صدقة أم حبيبة- رضي الله عنها- عن عبد الله بن بشر قال: "قرأت صدقة أم حبيبة ابنة أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم التي بالغابة أنها تصدقت على مواليها وعلى أعقابهم وعلى أعقاب أعقابهم حبسا لا تباع ولا توهب ولا تورث تخاصم من يرثها فأنفذت"[17].

وتصدقت صفية بنت حيي- رضي الله عنها- بدارها لبني عبدان صدقة حبسا لا تباع ولا تورث حتى يرث الله– عزَّ وجل- الأرض ومن عليها. شهد على ذلك نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[18].

(14) انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة (ذكر صدقات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين)، ج11، ص218؛ الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج1، ص38. كما ناقش أمين هذا الموضوع بتفصيل في كتابه الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص 11– 15؛ وكذلك: الزيد، أهمية الوقف، ص65- 69.

(15) الخصّاف، المصدر السابق، ص3.

(16) الخصّاف، أحكام الأوقاف، ص3.

(17) الخصّاف، أحكام الأوقاف، ص4.

(18) الخصّاف، أحكام الأوقاف، ص4.

وكذلك ما روي في صدقة أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- أنها تصدقت بدارها صدقة حبس لا تباع ولا توهب ولا تورث[19]. فقد جعلتها وقفا على أبنائها من الزبير[20].

وهناك إشارة إلى ما أوقفته وتصدقت به أم عبد الله بنت سلمة بن مخلد الأنصاري. والذي أصبح سوقا تباع فيه الدواب[21].

كانت وظيفة الوقف في صدر الإسلام توجه إلى رعاية الفقراء والمساكين والموالي والصدقة عليهم. لكنها شهدت في أواخر العهد الراشدي تحولا كبيرا بعد اتساع الدولة، وتنوع مصادر الدخل فيها، وارتفاع المستوى المعيشي لدى أفرادها؛ فاتسعت بذلك وظيفة الوقف لتشمل توفير المياه للحجاج وتسبيلها سواء في الطرق المؤدية للحج أو في المشاعر المقدسة، كما شمل هذا التطور صرف وظيفة الوقف لتشمل العناية بدور العبادة، وفي مقدمتها المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف[22].

إسهامات المرأة في توفير الخدمات والمرافق على طريق الحج بين الكوفة ومكة:

أولت الدولة الإسلامية تعمير الطرق عامة وطرق الحج خاصة عناية فائقة منذ مطلع الدعوة الإسلامية. وكان وراء هذا الاهتمام أسباب دينية أوجبها الدين الإسلامي ومراعاة لشعور الشعوب الإسلامية أيضا، وتعلق الداخلين في الإسلام من أهل المشرق بالديار المقدسة، ثم تجاريا حيث تتدفق تجارة الشرق إلى الجزيرة العربية عموما وتبادل السلع معها، ثم أمنيا فهي تكاد في اتجاهاتها تكون مخترقة للجزيرة العربية من شرقها حيث مقر الخلافة إلى غربها[23].

---

(19) الخصّاف، أحكام الأوقاف، ص4.

(20) ابن شبّة، تاريخ المدينة، ج1، ص243.

(21) القحطاني، أوقاف الأشرف، ص23

(22) فواز الدهاس، الوقف: مكانته وأهميته الحضارية، بحوث ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، منشورات وزارة الأوقاف، الرياض، 1426هـ، ج1، ص42

(23) الوشمي، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج، ص100. ينظر: الخريطة المرفقة في الملحق رقم(2).

والملاحظ على الجهود المبذولة في عمارة الطرق- خاصة طرق الحج- أنها جهود مشتركة، أسهم في إقامتها الأفراد جنباً إلى جنب مع الدولة. فقد حرص المقتدرون على ترك بعض المآثر على طريق الحج من الصدقات الجارية التي تخلد ذكرهم ويبتغون في الوقف نفسه من ورائها الأجر والثواب. وقد أدّى الوقف دورا بارزا في رعاية هذه المنجزات وديمومتها من خلال ما تمّ إنشاؤه من مرافق مختلفة، تفيد باستمراريتها حجاج بيت الله الحرام.

شاركت المرأة الرجل في الوقف في هذا المجال. ويبدو أن أول أشارة إلى مشاركة المرأة المسلمة في توفير المياه ووقفها تلك التي تعود إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان– رضي الله عنه. يشير خليفة بن خياط إلى أن والدة عامر بن عبد الله بن كُريز حفرت من مالها الخاص نهرا في البصرة[24].

ويتضح من الرواية أن والي البصرة كان هو المسئول عن طريق الحج وعمارته وتوفير المياه في محطاته في العصر الراشدي[25]. فعبد الله بن عامر بن كريز أمير عثمان على البصرة اهتم بتوفير المياه في ولاية البصرة وعلى طول طريق الحج، فكان "لا يعالج أرضا إلا ظهر منها الماء"[26]. وقد قال: "لو تركت لخرجت المرأة في خداجتها على دابتها، ترد كل يوم على ماء وسوق حتى ترد مكة". ومن أشهر الأماكن التي احتفرها وجهزها لنفسه وللعابرين النباج[27].

(24) خليفة بن خياط، تاريخه، ص166.

(25) خليفة بن خياط، تاريخه، ص166. ينظر الخريطة في الملحق رقم (1).

(26) بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج1، ص 73.

(27) خليفة بن خياط، تاريخه، ص166؛ المحمادي، ولاية عبد الله بن عامر على البصرة، المؤرخ العربي، عدد 12 ص137. يقول ياقوت:" وفي بلاد العرب نباجان: أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر، وهو بحذاء فيد.استنبط ماءه عبد الله بن عامر بن كُريز، شق فيه عيونا وغرس نخلا، وولده به وساكنه رهطه بنو كُريز. معجم البلدان، ج5، ص255- 256. وتعرف حاليا بمنطقة الأسياح في القصيم. العبودي، معجم القصيم، ج1، 326

ويظهر أن والدة عبد الله بن كُريز تأثرت بإنجازات ولدها، بعدما لاحظت أهمية ما قام به من توفير المياه سواء لسكان البصرة أو للحجيج، فقامت بحفر نهر في وسط البصرة لسقيا الناس عرف باسمها (نهر أم عبد الله)[28]. ولم نجد بعد ذلك في ما توفر من مصادر أية إشارات إلى جهود للمرأة في العصر الأموي على طريق الحج العراقي.

يُعد العصر العباسي عهدا زاهرا في مشاركة المرأة في العمل الخيري والوقف في مختلف مجالات الخدمات العامة، ومنها توفير المياه. وتعد الخيزران[29] زوج الخليفة المنصور من أوائل نساء هذا العصر اهتماما في هذا المجال. فمن أعمالها أنها حفرت نهر المحدود قرب الأنبار وسمته الريان[30].

وشاركت خالصة[31] خادمة الخيزران سيدتها في وقف ماء السبيل وإنشاء البرك والمصانع في بعض محطات طريق الحج وفي المشاعر. يذكر الحربي أن خالصة قامت بتسهيل الطريق بين الأجفر[32] والمنزل. "فقد اشترت مائة عبد، وقالت: انقلوا الحجارة حتى تجعلوها من الأجفر إلى المنزل رصيفين، فإذا فرغتم فأنتم أحرار، ففعلوا ذلك. وكان الناس يتأذون في المطر، لأنها طينا أخضر"[33]. ومن مآثر خالصة أيضا أنها أنشأت كثيرًا من المرافق والخدمات في بعض محطات الحج بين الكوفة ومكة.

(28) خليفة بن خياط، تاريخه، ص166؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص317.

(29) هي الخيزران بنت عطاء زوج الخليفة المنصور وأم الخليفة الهادي، الذي تحكمت في أمر دولته، مما أغضب ابنها في النهاية ومنعها من التدخل في أمور الدولة، فكانت نهاية الخليفة الهادي على يدي أمه. توفيت سنة 173هـ. الطبري، تاريخه، ج8، 238؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص348.

(30) يقول ياقوت: سمي المحدود لأن وكيلها قد جعله أقساما، وحدّ كل قسم ووكل بحفره قوما؛ فسميّ المحدود لذلك. معجم البلدان، ج5، ص61.

(31) لم تكن خالصة مجرد جارية لدى الخيزران، بل كانت من أقرب الناس لها، وكانت لها المكانة العالية لدى الخلفاء: المنصور والمهدي والهادي. ونجد أخبارها مبثوثة في المصادر. ينظر: الحربي، المناسك، ص292، ص305؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص225، ص234 ؛ الطبري، تاريخه، ج8، ص72، ص73، ص205، ص206، ص212، ص213؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج1، ص627، ص687.

(32) الأجفر: جمع جفر، وهو البئر الواسع. محطة على طريق الحج بين فيد والخزيمية. تبعد عن فيد ستة وثلاثين فرسخا. ياقوت، معجم البلدان ج1، ص102.

(33) الحربي، المناسك، ص305.

منها: بركة في محطة بطان[(34)]، وبركة وبئرا بالثعلبية[(35)]. كما أنشأت بركا في كل من: القاع والطليحية والبطان[(36)]. وبالقرب من البطان باتجاه مكة أنشأت خالصة بعض البرك التي سُميت باسمها، وأنشأت إلى جوارها عدداً من الخزانات[(37)]. وأنشأت بركة أيضا قبل محطة الأجفر بميلين[(38)]. كما أنشأت على ستة أميال من الأجفر تجاه سميراء[(39)] قوساً عليه أزج[(40)] معقود للماء[(41)].

لكن الإنجازات المهمة على طول طريق الحج العراقي بين الكوفة ومكة تنسب إلى زوجة الخليفة الرشيد السيدة زبيدة. فقد أجمع كل من ترجم للسيدة زبيدة[(42)] على إقبالها على فعل الخير وخاصة في موسم الحج. فقد أنفقت في إحدى حجاتها مليونا وأربعة وخمسين ألفا خلال ستين يوما[(43)].

---

(34) منزل بطريق الحج، بعد الشقوق من جهة مكة، وهو ماء لبني ناشز من بني أسد. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص446.

(35) منزل للحاج بعد الشقوق ويمثل ثلثا الطريق. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص78.

(36) ينظر: الحربي، المناسك، ص291- 293.

(37) الحربي، المناسك، ص297.

(38) الحربي، المناسك، ص301.

(39) محطة بين توز والحاجر. ياقوت، معجم البلدان ج3، ص255.

(40) الأزج بيت يبنى طولا، ويقال له بالفارسية أوستان. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص130(مادة أزج).

(41) الحربي، المناسك، ص303.

(42) هي أم العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور الذي كان يتولى الموصل للخليفة المنصور. ولدت سنة 145هـ. لقبها جدها المنصور بزبيدة لحسنها، فغلب اللقب على الاسم. تزوجها ابن عمها الخليفة هارون الرشيد سنة 165هـ. ولدت لهارون الرشيد ابنه الأمين. عرفت السيدة زبيدة بالعقل وحسن الرأي والبلاغة، كما كانت محبة لأعمال الخير، فأنشأت كثيراً من المرافق لخدمة الحجاج خاصة، على طول طريق الحج وبمكة أيضا. توفيت السيدة زبيدة سنة 216هـ. للمزيد: ينظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ج14، ص433، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص314، كحالة، أعلام النساء، ج2، ص17- 30؛ جواد، سيدات البلاط العباسي، ص45- 51.

(43) الخطيب، تاريخ، ج14، ص433 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2،ص314.

حرصت السيدة زبيدة على أداء فريضة الحج أكثر من مرة برفقة زوجها الخليفة هارون الرشيد(44). ولا بدّ أن السيدة زبيدة من خلال ترددها عبر طريق الحج العراقي لاحظت ما يحتاج إليه من خدمات تسهل على الحاج أداء حجهم بسهولة ويسر.

أسهمت السيدة زبيدة أسهاما عظيما تجاه طريق الحج. فقد لاحظت أثناء حجتها الأولى برفقة زوجها الخليفة هارون الرشيد سنة (176هـ\ 792) عظم المتاعب التي يواجهها موكب الحج من الكوفة إلى مكة، فالطريق غير سالك، تعيقه كثير من العوائق الطبيعية، فضلا عن عدم توفر المياه في أكثر مراحله، كما أنه ليس هناك استراحات مجهزة يرتاح فيها الحاج خلال سفره الطويل. لذلك قررت إصلاح الطريق وتزويده بالمياه ومحطات الاستراحة. لقد كان لعظم الخدمات التي قدمتها للحاج أن دفعت المؤرخ اليعقوبي إلى القول بأنه قد فاقت بإنجازاتها زوجها الخليفة الرشيد(45).

وفي هذا الصدد فإن كتاب "المناسك" للجغرافي الحربي (ت285هـ\898) يعد من أهم المصادر التي تحدثت مفصلا عن طريق الحج، ووصفت محطاته. ويلاحظ أن الحربي لم يقصر الحديث في كتابه على وصف الطريق ومحطاته، بل حرص على ذكر كل من ساهم في تحسينه وتوفير الخدمات لسالكيه.

و مما يؤسف له أن جزءاً ليس بالقليل من بداية الكتاب مفقود، حيث إن ما توفر منه يبدأ بالحديث عن محطات الحج ابتداء من محطة القاع(46)، علما أن بعض الجغرافيين المبكرين قد ذكروا قبل القاع اثنتي عشرة محطة(47).

---

(44) فقد عُرف عن الرشيد (170- 193هـ\ 786- 809) حرصه على أداء فريضة الحج، فقد حجّ سبع مرات. يذكر المقريزي أنه قسم سنوات حكمه بين جهاد الأعداء في عام، وأداء الحج في عام. وخلال الحجات السبع قام بكثير من المشاريع لخدمة قوافل الحج على طول الطريق بين الكوفة ومكة. وقد شملت تلك المشاريع توفير المياه، وإنشاء الحصون والمنازل لاستراحات الحاج. الطبري، تاريخ، ج8، ص347؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص48، ص52.

(45) اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص26.

(46) منزل بطريق الحج بعد العقبة، ومنه يرحل إلى زبالة. ياقوت، معجم البلدان ج4، ص298.

(47) ابن رستة، وابن خرداذبة واليعقوبي. وينظر تفصيل ذلك: في الخريطة رقم (1) الملحقة بآخر الدراسة.

لكن لحسن الحظ، فإن الحربي في نهاية حديثه عن محطات الحج أورد أرجوزة شعرية من نظم أحمد بن عمرو(48)- الذي كان مرافقا للسيدة زبيدة في إحدى حجاتها- وصف فيها محطات الحج التي نزلتها السيدة زبيدة، لذلك فما ورد في الأرجوزة يعد متمما لما أورده الحربي.

ولعظم الخدمات التي قدمتها السيدة زبيدة لطريق الحج بين الكوفة ومكة، فإن المؤرخين والجغرافيين صاروا يطلقون على الطريق اسم" درب زبيدة"(49).

ومن المحطات التي تناولتها يد زبيدة بالإعمار أو بتوفير خدمات للحجاج، ونذكرها تباعا من الكوفة، نقطة انطلاق الحاج، وانتهاءً بمكة:

- حفرت بركة بين العذيب(50) والمغيثة(51) عرفت ببركة أم جعفر(52).
- الزبيديّة. وهي عبارة عن منزل يقع بين العذيب والمغيثة. وهذه المحطة زودتها السيدة زبيدة ببركة وقصر ومسجد(53).
- محطة الشقوق(54)، أجرت بها عينا(55).
- وعلى ثلاثة أميال من الشقوق أنشأت قصرا(56).

---

(48) لم نعثر له على ترجمة فيما توفر من مصادر.

(49) يشير أحمد بن عمرو في مطلع أرجوزته إلى جليل أعمال السيدة زبيدة فيقول:

سيدة تمنح قبل الطلبه ولا تريد المال إلا للهبه

أجرت عيونا في فلا معتذبه أمست على الناس بها محتسبه

الحربي، المناسك، ص548-9.

(50) ماء بين القادسية والمغيثة، على أربعة أميال من القادسية. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص92.

(51) منزل من منازل حج الكوفة بعد العذيب، تبعد عن القادسية أربعة أميال. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص162.

(52) الحربي، المناسك، ص320. وإلى مثل ذلك أشار ياقوت. معجم البلدان، ج5، ص162.

(53) الحربي، المناسك، ص289؛ ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص132.

(54) منزل بطريق مكة بعد واقصة لمن جاء من جهة الكوفة. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص356.

(55) الحربي، المناسك، ص549.

(56) الحربي، المناسك، ص288.

- وعلى ستة أميال من الشقوق أيضا حفرت بركة[57].
- وعلى مقربة من البطان أنشأت قصراً يعرف بقصر أم جعفر[58].
- محطة العقبة[59]. فقد أجرت بها عينا[60].
- محطة الهيثم[61]. تقع بين القاع وزبالة، زودتها زبيدة ببركة وقبة وقصر[62].
- محطة القنيعة[63]. أنشأت بها بركة[64].
- محطة الخُزيمية[65]. أنشأت بها قبة[66].
- محطة النقرة [67].اتخذت فيها قبة[68].
- محطة الأجفر. أنشأت بها سقاية للحاج[69].
- وعلى ثمانية أميال من الأجفر أنشأت بركة عرفت ببركة البلة، وأنشأت عندها بئراً وقبابا ومسجدا[70].
- وفي محطة تُوز[71] أنشأت بركة تعرف بالطارفيّة[72].

(57) الحربي، المناسك، ص289

(58) الحربي، المناسك، ص292.

(59) منزل من منازل الحج قبل القاع لمن يريد مكة. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص134.

(60) الحربي، المناسك، ص548.

(61) محطة للحاج على ستة أميال من القاع. ياقوت، معجم البلدان، ج5، 421.

(62) الحربي، المناسك، ص282 ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص422.

(63) من محطات الحاج، بين الثعلبية والخزيمية. ياقوت، معجم البلدان ج4، ص410.

(64) بين الثعلبية والخزيمية. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص410.

(65) منزل من منازل الحج بعد الثعلبية على مسافة ثلاثة وثلاثين ميلا. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص370.

(66) الحربي، المناسك، ص550

(67) من منازل طريق الحج الكوفي، وبها تفترق الطريق، فمن أراد المدينة أخذ نحو العسلية، ومن أراد مكة نزل المغيثة. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص299.

(68) الحربي، المناسك، ص552

(69) الحربي، المناسك، ص551.

(70) الحربي، المناسك، ص303.

(71) بين فيد وسميراء. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص58.

(72) الحربي، المناسك، ص312.

- محطة العنّابة. وهي عبارة عن بركة تقع بين توز وسميراء[73].
- محطة سميراء. استحدثت بركة[74] وأجرت بها عينا [75].
- الحسني[76]، وهي بئر نقع على ستة أميال من قروري. وهي محطة مزودة ببركة وقصر وبئر[77].
- محطة معدن النقرة. بنت بها قبة[78].
- محطة بني سُليم[79]. أنشأت بها بركاً [80].
- محطة قروري[81]. أنشأت بها بركة وقصر[82].
- محطة السليلة[83]. استنبطت بها الماء من باطن الأرض[84].
- محطة العمق[85]. أجرت بها الماء[86].
- محطة أفيّعية[87]. أجرت بها الماء [88].

(73) الحربي، المناسك، ص312، ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص159.

(74) الحربي، المناسك، ص315.

(75) الحربي، المناسك، ص551- 2.

(76) بئر على ستة أميال من قرورى، قرب معدن النقرة. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص260.

(77) الحربي، المناسك،ص320..

(78) الحربي، المناسك، ص552.

(79) على طريق الحج، وبها ماء لبني سليم. وتعد من أعمال المدينة. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص154.

(80) الحربي، المناسك، ص333.

(81) موضع بين معدن النقرة والحاجر، على بعد اثني عشر ميلا من الأخيرة. ياقوت، معجم البلدان ج4، ص344.

(82) الحربي، المناسك، ص320.

(83) موضع على ستة عشر ميلا من الربذة. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص243.

(84) الحربي، المناسك، ص553.

(85) وهي علم على جادة الطريق الى مكة، بين معدن بني سليم وذات عرق. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص156.

(86) الحربي، المناسك، ص553.

(87) منهل لبني سليم، من أعمال المدينة النبوية. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص233.

(88) الحربي، المناسك، ص554.

- المَسلح[89]. حفرت بها بئرا[90].
- محطة الغَمرة[91]. أجرت بها عينا [92]

يذكر الشاعر أحمد بن عمرو في أرجوزته أيضا بأن عمل السيدة زبيدة لم يقتصر على توفير المياه والاستراحات في طريق الحج فحسب، بل تعداه إلى تسهيل الطريق والتخفيف من وعورته. يقول في وصف الطريق بين الخُزيمية والأجفر:

ثم نزلنا منزلا بالأجفر	بعد طريق خشن مُوَعَّرِ
سهله الله بأم جعفر	فصار موردا حميد المصدر
رُمى بعذب الطعم مثل السكر	وراجل أشعث شعر أغبر
جادت له بفضة وجوهر	ساقية الحجاج ذات المفخر[93]

وإذا انتهى الحاج من أداء مناسك الحج، فإنه يحرص في طريق عودته على زيارة المدينة النبوية للسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم وللصلاة في مسجده. يسلك الحاج وخاصة الحاج العراقي طريقا غير التي سلكها أثناء قدومه إلى مكة. وتبدأ الطريق من الجفنة[94] مرورا بالأبواء[95] والسقيا[96]، وبعدها إلى السيالة[97] مرورا بمَلل[98] ثم يدخلون المدينة. وبعد القيام بالزيارة، فإن الحاج العراقي يتوجه بالاتجاه الشمالي

(89) موضع من أعمال المدينة النبوية. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص128.

(90) الحربي، المناسك، ص554.

(91) منهل من مناهل طريق الحج ومنزل من منازله، وهو الحد الفاصل بين تهامة ونجد. ياقوت، معجم البلدان، 4، ص212.

(92) الحربي، المناسك، 555.

(93) الحربي، المناسك، ص555- 6.

(94) قرية على طريق المدينة للمتجه من مكة، على أربعة مراحل منها. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص111.

(95) قرية من أعمال الفرع تابعة للمدينة النبوية، بينها وبين الجحفة باتجاه المدينة ثلاث وعشرون ميلا. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص79.

(96) قرية من عمل الفرع، بينها وبين الجحفة تسعة عشر ميلا. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص228.

(97) أول منزل لأهل المدينة إذا أرادوا التوجه إلى مكة. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص292.

(98) منزل للحاج يبعد عن المدينة ثمانية وعشرين ميلا. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص194.

الشرقي، فيمر بمحطات: الطرف[99]، العُسلية[100]، والمحدث[101]. وبعدها يعود ليسلك الطريق الذي قدم منه عند معدن النقرة[102].

إن هذه الطريق لم تخل من خدمات قدمتها السيدة زبيدة، فإن معظم المحطات التي ذكرناها على طريق مكة المدينة قد وفرت بها المياه من برك وآبار. كما ساهمت بتحسين الطريق وإزالة وعورته[103].

حظيت أعمال السيدة زبيدة ومبراتها في طريق الحج بثناء الجغرافيين والرحالة المسلمين على مرّ العصور. فأعمالها استمرت تؤدي الدور الذي أرادته زبيدة عدة قرون بعد وفاتها. نجد ابن جبير– الذي حج عام (579هـ\1183)- والذي رافق قافلة الحج العراقي في طريق العودة من مكة إلى الكوفة يصف الطريق بدقة مركزا على ما في محطاته من استراحات وبرك وعمارة، ويظهر من العبارات التي وصف بها الطريق انبهاره بتلك الخدمات التي وفرت للحجاج. فهو يقول في وصف الطريق من العقبة: "ومع الصباح من يوم الاثنين المذكور صعدنا العقبة وليست بالطويلة.. ونزلنا عند ارتفاع النهار على مصانع دون ماء، وأجزنا مصانع كثيرة، وما منها مصنع إلا وإلى جانبه قصر مبني. والطريق كلها مصانع. ورضي الله عن التي– يقصد زبيدة- اعتنت بسبيل وفد الله هذا الاعتناء"[104]. ويقول في موقع آخر" وكثرت المصانع حتى لا تكاد الكتب تحصرها ولا تضبطها"[105].

ويكرر ابن جبير الثناء على السيدة زبيدة، مشيرا إلى أنه لولا فضل الله ثم جهودها لما استطاع أحد من الحجاج سلوك تلك الطريق: "وهذه المصانع والبرك والمنازل

(99) ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص31.

(100) ماء في جبل القنان، شرق سميراء. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص125.

(101) منزل للحاج على ستة أميال من النقرة. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص60.

(102) ينظر وصف الطريق: الحربي، المناسك، ص425 وما بعدها.

(103) ينظر: الحربي، المناسك، ص555- 6. فقد ورد الحديث عن ذلك مفصلا في أرجوزة أحمد بن عمرو.

(104) الرحلة، ص152.

(105) الرحلة، ص153.

التي من بغداد إلى مكة هي آثار زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور، زوج هارون الرشيد، وابنة عمه. انتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذه الطريق مرافق ومنافع تعمُّ وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن. ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق. والله كفيل بمجازاتها"[106]. ومضمون الكلام نفسه يورده الرحالة المغربي ابن بطوطة "وكل مصنع أو بركة أو بئر بهذه الطريق التي بين مكة وبغداد فهي من كريم آثارها"[107].

وللسيدة أم المقتدر[108] أوقاف كثيرة في طريق الحج، وإن لم تشر المصادر إليها بالتفصيل إلا أن الفاسي يقول في معرض حديثه عن سبيل الجوي: "ورأيت مكتوبا في حجر ملقى فيه: "المقتدر العباسي ووالدته أمرا بعمارة هذه السقايات والآثار التي وراءها وتصدق بها في سنة اثنتين وثلاثمائة"[109]. كما عمرت في طيّ بظاهر مكة سقايات ومسجدا[110].

دور المرأة في وقف المشاريع المائية بمكة المكرمة:

عرفت مكة بندرة مائها منذ عهد آدم عليه السلام، لذلك تسابق خلفاء المسلمين إلى حفر الآبار وإجرائها لتسد حاجة أهلها، وما يفد إليها من الحجاج والمعتمرين، لكن ذلك لم يكن ليستمر فسرعان ما تنضب هذه الآبار، فتعود الأزمة إلى الظهور، فيلقى الناس في سبيل ذلك العنت والشدة من جرّاء انقطاع الماء. يشير الأزرقي إلى أن الخليفة

---

(106) الرحلة، ص151.

(107) الرحلة، ص175.

(108) اسمها شغب، وكانت من ربات النفوذ والسلطان، أمرت وحكمت في أمور الدولة لضعف ولدها المقتدر. وبعد قتل ولدها المقتدر، وتولي القاهر، لقيت معاناة شديدة، فقد نكل بها القاهر، وضربها، وعلقها من رجليها لتعترف بأموالها، لكنها أنكرت. وماتت سنة 321 بعد مرض أيام قلائل. ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص176.

(109) العقد الثمين، ج1، ص124. ويدل على ذلك أيضا النقش الذي عثر عليه العالم الجيولوجي ك. تويتشيل. انظر: الراشد، درب زبيدة، ص57.

(110) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص125.

معاوية بن أبي سفيان كان أول من أجرى في الحرم عيونا، واتخذ لهذا حوائط[111]. وكانت هذه العيون قد انقطعت، وذهبت، فأمر الخليفة هارون الرشيد بإنشاء عيون جديدة منها، فعملت وصرفت جميعها بعين الرشا، تسكب في ماجلين[112]: الأول بالمعلاة، والثاني بالمسجد الحرام[113].

كانت السيدة الخيزران أول من أنشأ مشاريع مائية لخدمة الحاج في مكة. فقد حفرت سقاية للحاج في مكة عند الخياطين[114] في موضع الرحبة[115].

شاركت خالصة جارية الخيزران سيدتها في توفير مياه الشرب للحاج بمكة والمدينة، فكانت أول من أحدث سقايات في المسجد النبوي[116]. وأمرت بإنشاء سقاية بين عرفة ومزدلفة. وأعادت كذلك حفر بئر كانت في الجاهلية تقع في المسيل بين مأزمي عرفة ونمرة[117].

لكن تعد أعمال السيدة زبيدة في هذا المجال الأكثر شهرةً واتساعا، بفضل تنوعها، وأنها شملت بفائدتها أهل مكة إضافة إلى الحجيج. يتضح من الرواية التالية التي يذكرها اليعقوبي أن زبيدة كانت تدرك المشقة التي يعانيها الحاج وأهل مكة معا في سبيل الحصول على مياه الشرب حيث يشير إلى أن السيدة زبيدة حجت برفقة زوجها الخليفة هارون الرشيد عام (190هـ\805) "فنال الناس عطش شديد، وغارت مياه زمزم حتى لم يوجد من الماء إلا القليل، وحفرت زمزم، فنُزل فيها عدة أذرع،

(111) الحوائط: البساتين. وكان هدف الخليفة معاوية بن أبي سفيان من وقف تلك البساتين أن تستغل محاصيلها لإصلاح العيون وإدامتها. الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص229.

(112) كل ماء في أصل جبل أو واد، وهي عين بباب مكة يجتمع فيها الماء. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج2، ص1395.

(113) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص231.

(114) تقع عند باب الوداع. الزواوي، بغية الراغبين، ص8

(115) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص96.

(116) السمهودي، وفاء الوفا، ج1، ص687.

(117) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص190.

فكان الماء زاد يسيرا ، وكان مقدار رشاء زمزم ثماني عشرة ذراعا ، فحفرت فيها تسع أذرع ليزيد. فكان أول ما حفر في زمزم"[118].

لذلك نجدها في موسم الحج عام (193هـ\809) وبعد أن تكرر المشهد مرة أخرى مما يعانيه الحاج من شُح المياه، "حتى أن الراوية من الماء يباع في المواسم بعشرة دراهم"[119]. قررت أن تبدأ بتنفيذ مشروعها "المائي" وتوفير المياه في مكة فقط و في جميع المشاعر: عرفات، والمزدلفة، ومنى.

في البداية أمرت زبيدة ببناء بركة بمكة تجلب إليها المياه من داخل حرمها، لكن المياه المجلوبة لم تكن كافية. وبعد أن تعثر إيجاد مصادر أخرى للمياه ضمن حدود مكة، كان لا بد من البحث عن مصادر جديدة خارج حدود الحرم. ولتحقيق هذه الغاية، جمعت السيدة زبيدة المهندسين وطلبت منهم تنفيذ رغبتها بجلب الماء من الحل"[120]، لكن المهندسين ذكروا لها صعوبة العمل، لكنها أصرت على إتمام المشروع بالرغم من وجود العوائق الطبيعية التي تحول دون تحقيق هذا الهدف.

وكانت البداية عين حنين التي كان يُسقى بها نخل ومزارع مملوكة للناس إليها. فكان ذلك الموضع يسمى حائط[121] حنين. فاشترت زبيدة ذلك الموضع، وأبطلت تلك المزارع والنخيل، وبنت القنوات وشقت الجبال، وجعلت لها الشحاذيذ[122] في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند نزول الأمطار، وجعلت فيه قناة متصلة إلى مجرى هذه العين في محاذاته، يحصل منها المدد إلى هذه العين، حتى صار كل شحاذ (سد) منها عينا لها اسم عرفت به: عين مشاش، وعين الزعفران، وعين البرود، وعين

(118) اليعقوبي، تاريخ، ص429.

(119) الفاكهي، المنتقى في أخبار مكة، ص60؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص231.

(120) أي خارج حدود الحرم.

(121) الحائط: البستان. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص896 (مادة حوط).

(122) الشحذ كالمنع، والمشاحيذ رؤوس الجبال. وهي هنا كناية عن السدود. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص480.

الصرفة، وعين ثقبة وعين الخريبات. وكل هذه العيون تصبُّ في مجرى حنين[123]، ثم تجلب مياه هذه العين إلى مكة عبر قنوات عملت لهذا الغرض[124]. وبلغ طول القنوات من مصدرها حتى مكة 12 ميلا[125].

وفي عام (211هـ\826) حجت السيدة زبيدة مرة أخرى ووقفت على عمل المأمون، فقررت أن تضيف إلى ما أنجزته من قبل جديدا، فأمرت ببناء دار لتكون مقرا للمشرف على العين، وجعلت تلك الدار عند بركة المعلاة[126].

كانت همة السيدة زبيدة عظيمة لتحقيق هذا المشروع، حبا في عمل الخير وابتغاءً لمثوبة الله تبارك وتعالى- ولعلنا نستنتج ذلك من نقش كتابي وجد على بركة السيدة زبيدة بمكة يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وصلى الله على محمد عبده ورسوله بركة من الله مما أمرت به أم جعفر بنت أبي الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور- رضي الله عن أمير المؤمنين- بإجراء هذه العيون سقاية لحجاج بيت الله وأهل حرمه، طلب ثواب الله وقربة إليه"[127].

هذه الإنجازات التي قامت بها السيدة زبيدة كلفت من الأموال الكثير، فيذكر مؤرخو مكة أن السيدة زبيدة أنفقت في سبيل ذلك من الأموال "ما لم يكن تطيب به نفس كثير من الناس"[128]. فقد بلغت النفقة على هذه العين "ألف ألف وسبعمائة ألف

(123) الزواوي، بغية الراغبين، ص6- 7.

(124) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص232. كان عمل زبيدة دافعا للخليفة المأمون لإنشاء عدد من البرك في مكة، فقد أشار عليه واليه على مكة صالح بن العباس سنة (210هـ\ 825) باتخاذ عدد منها في سوق مكة، ليسهل على أهل وسط مكة وأسفلها وأهل أجياد والثنية التزود بالمياه، خاصة أن عين زبيدة (المشاش) كانت تعد بعيدة فهي تقع على مقربة من عرفات. فأمر المأمون باستحداث خمس برك جديدة. الفاكهي، المنتقى في أخبار مكة، ص35.

(125) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص317.

(126) الفاكهي، المنتقى في أخبار مكة، ص53.

(127) الفاكهي، المنتقى في أخبار مكة، ص34-5.

(128) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص232.

دينار"(129). ويبدو أن كثرة ما أنفق من أموال دفع وكيلها المشرف على مشروع العين إلى تذكيرها بذلك، فأجابته: "ما أردت بهذا إلا أن تعنفني وتندمني وتمنعني الخير، اصرف، وتتم العمل، ولو كان أضعاف ذلك"(130). وفي رواية أخرى أنها ردت على وكيلها بقولها: "اعملها ولو كانت ضربة الفأس بدينار"(131).

وبعد أن انتهى مشروع العين، اجتمع المباشرون لهذا المشروع ومعهم العمال لدى السيدة زبيدة وهي بقصرها المطل على دجلة لعرض تكاليف المشروع وتقديم الحساب، فأمرت بإلقاء بالدفاتر في دجلة، وقالت: "تركنا الحساب ليوم الحساب، فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له، ومن بقي له عندنا شيء أعطيناه"(132). وألبستهم الخلع الثمينة فخرجوا من عندها حامدين شاكرين(133).

أورد المسعودي رواية مهمة تبين الخدمات الجليلة التي قدمتها السيدة زبيدة في مكة بعد أن أوصلت إليها المياه. وتلك الرواية ينقلها المسعودي عن النسابة محمد بن علي الصبري الخراساني والذي كان من خاصة جلساء الخليفة القاهر بالله. وكلام الصبري كان إجابة على سؤال الخليفة له عندما طلب إليه وصف الخلفاء العباسيين من قبله. فإن القاهر عندما لم يعطِ الصيري في أعمال زبيدة حقها من الوصف، نهره بقوله: "أراك قد قصرت في وصف أعمال أم جعفر" ؟ تدارك النسابة ذلك وأخذ يحدث الخليفة عن إنجازاتها وأعمالها، فقال: "كان من فعلها وحسن سيرتها في الجد والهزل ما برّزت فيه على غيرها، فأما الجدّ والآثار الجميلة التي لم يكن في الإسلام مثلها، مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز، فإنها حفرتها ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر، حتى أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا.."(134).

(129) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص317، السباعي، تاريخ مكة، ج1، ص180.

(130) الفاسي، العقد الثمين، ج8، ص237.

(131) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص314.

(132) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص277، الفاسي، العقد الثمين، ج8، ص237.

(133) الفاسي، العقد الثمين، ج8، ص237.

(134) مروج الذهب، ج4، ص317.

ومن الخدمات التي أقامتها السيدة زبيدة بمكة أيضا، أنها أمرت خادمها ياسر بإنشاء ميضات (أماكن للوضوء) على باب أجياد الكبير، فقد أدخل فيها بئر الجفر[135]. كما اشترى المسكن، فأدخله في المتوضآت التي عملها على باب أجياد"[136].

ولأجل استمرارية أعمالها الخيرية في مكة، قامت السيدة زبيدة بتخصيص الأوقاف اللازمة للإنفاق عليها[137]. يشير الخطيب البغدادي إلى أن السيدة زبيدة تركت أوقافا وغلات يبلغ ريعها ثلاثين ألف دينار في السنة لهذه الغاية[138]. ومما تذكره المصادر من أوقاف زبيدة بمكة لهذه الغاية: حائط عوف في الحجون[139]، وحائط سفيان في أسفل مكة[140].

خلَّد الشاعر أحمد بن عمرو الذي رافق السيدة زبيدة في حجها أعمال السيدة زبيدة، وآثار ذلك على الحجاج وأهل مكة، وخاصة عين زبيدة (المشاش):

ثم وردنا العين بالمشاش عينا تروي غلَلَ العطاشِ
من ركب لحجّه وماش وكل كهل قاطن وناشي
بمكة والإبل والمواشي عمّتهم بالرّيِّ والإنعاش
خير جميع الناس لا أُحاشي ذات الأيادي والعطاء الفاشي
فأصبحوا في أخصب المعاش منها وفي خفض وفي ارتياش[141]

(135) السباعي، تاريخ مكة، ج1، ص181. يقول الأزرقي: "وحفر أمية بن عبد شمس بئرا يقال لها الجفر وهي في وجه المسكن، الذي كان لبني عبد الله بن عكرمة المخزومي، بطرف أجياد الكبير". الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص218-9.

(136) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص218-9.

(137) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص277.

(138) تاريخ بغداد، ج14، ص433.

(139) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص229. والحجون: جبل بأعلى مكة، عنده مقابر أهلها. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص225.

(140) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص230.

(141) الحربي، المناسك، ص555.

وكان لإنجازات السيدة زبيدة صدى في قصائد الشعراء، فهذا شاعر التقى بالسيدة زبيدة عند وصولها إلى مكة، فترجل عن فرسه وأنشأ يقول(142):

سيستبشر البيتُ الحرامُ وزمزَمٌ ... بـأمِّ ولـيِّ العـهـدِ زيـنِ المـواسـمِ
ويعلـم مَنْ وافى المحصَّب أنها ... ستحمل ثِقل الغُرم عن كل غارمِ
بنو هاشم زينُ البرية كلِّها ... وأمُّ ولي العهد زينٌ لهاشم
سليلةُ أملاكٍ تفرَّعت الذُّرى ... كرامٍ لأبناءِ الملوك الأكارِمِ
فواللّه ما نَدري أفضلُ حديثِها ... عليهم به تَسمو أم المُتقادمِ
يظنّ الذي أعطتْه منها رغيبةً ... يقصّ عليه الناسُ أحلامَ نائمِ

فأمرت له بعشرة آلاف درهم وفرس

ثم لقيها وهي تستعد للرحيل عن مكة بعد أدائها الفريضة، فقال:

لقد سادتْ زُبيدةُ كلَّ حيٍّ ... وميْتٍ ما خلا الملكَ الهُماما
تُقًى وسماحةٌ وخلوصُ مَجد ... إذا الأنسابُ أَخلصتِ الكراما
إذا نزلتْ منازلَها قريشٌ ... نزلتِ الأنفَ منها والسَّناما
بلغْتِ من المفاخر كلَّ فخرٍ ... وجاوزْتِ الكلامَ فلا كلاما
وأعطيتِ اللُّهى لكنَّ طِرْفي ... يريد السَّرجَ منكم واللِّجاما

فأمرت له بسرج ولجام(143).

ولم تكن أعمال السيدة زبيدة آنية، بل حرصت على استمراريتها من خلال الأوقاف الجزيلة التي أوقفتها لهذه الغاية. فالمؤرخ اليافعي الذي زار مكة لأداء فريضة الحج في القرن الثامن (ت768هـ\ 1365) وشاهد عين زبيدة (المشاش)، لم يستطع إخفاء إعجابه الشديد بما قامت به السيدة: "إن آثارها باقية ومشتملة على عمارة عظيمة

(142) الأصفهاني، الأغاني، ج23، ص18-19. وقد نسب الأصفهاني هذه الأبيات للشاعر النصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، علما أن النصيب توفي في سنة 129 أو 130هـ. ينظر ترجمة النصيب: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج62، ص52-68؛ الذهبي، تاريخ، ج3، ص330.

(143) الأصفهاني، الأغاني، ج23، ص19.

عجيبة، مما يتنزه برؤيتها على يمين الذاهب إلى منى من مكة، ذات بنيان محكم في الجبال، تقصر العبارة عن وصف حسنه، وينزل الماء منه إلى موضع تحت الأرض عميق، ذي درج كثير جدا، لا يوصل إلى قراره، إلا بهبوط كالبير يسمونه لظلمته، يفزع بعض الناس إذا نزل فيه وحده نهارا فضلا عن الليل"[144].

استمرت عين زبيدة تغذي مكة بالمياه حتى مطلع القرن العشرين. وكانت العين كلما تعرضت لشيء من الخراب يقوم الخلفاء والسلاطين بعمارتها[145].

لم تكتف زبيدة بإيصال المياه إلى مكة فحسب، بل قررت إيصالها إلى عرفة، ففي عرفة يعاني الحجاج من شح المياه أضعاف ما يعانونه بمكة. وكانت العوائق الطبيعية هي عينها التي واجهت الفَعلة في إيصال المياه إلى مكة. فعين وادي النعمان القريبة من عرفة هي مصدر المياه الذي يمكن استغلاله، ونقل المياه منه إلى جبل الرحمة. فعين وادي نعمان فوق عرفات بذيل جبل كرا[146]. كانت الخطوة الأولى لتنفيذ هذا المشروع حفر قنوات اخترقت بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات، لتصل إلى البرك التي أنشأتها في عرفات. وبعد أن تمّ إيصال الماء إلى عرفة، ونقلت المياه إلى مختلف مواضع الجبل، من خلال عدة قنوات تلتف حول الجبل من جهاته: الشمالية والجنوبية، والغربية، كما مدت منه قنوات فرعية، لتصبّ مياهها في خزانات، ثم في أحواض وبرك، خُصص بعضها لتزود الحجاج بماء الشرب، وبعضها الآخر لسقي الدواب[147].

وتتكون منشآت العين من جزأين رئيسين:

(144) مرآة الجنان، ج2، ص48.

(145) أفرد الزواوي- والذي كان يتولى رئاسة لجنة عين زبيدة في مطلع القرن العشرين- رسالة في عمارة العين وتطورها منذ إنشائها وحتى قبيل سقوط الخلافة العثمانية، أسماها" بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين، نشرت الرسالة عام 1330هـ\1911.

(146) وادي نعمان كما يذكر ياقوت على الطريق بين مكة والطائف. معجم البلدان، ج5، ص293.

(147) الزواوي، بغية الراغبين، ص7، أبو رزيزة، تطوير واستثمار أوقاف عين زبيدة، ص122.

الجزء المُجمع للمياه. وهو مبني تحت سطح الأرض، يبدأ من نقطة الأميّة، وهي نقطة تجمّع مياه جميع روافد وادي النعمان العلوية المعروفة بعذوبتها خلال فتحات تسمح للمياه الجوفية بالانسياب إلى داخل القنوات ونقلها بالانحدار الطبيعي إلى أماكن الاستعمال.

أما الجزء الثاني، فمهمته نقل المياه فقط فوق سطح الأرض مباشرة أو معلقا فوق جسور أعدت لهذه الغاية، عند اختراقها لبطون الأودية أو تحت سطح الأرض، وهذا الجزء مبني بالحجارة من الأسفل ومجصص بالنورة[148] في قواعده وجوانبه؛ لمنع تسرب المياه منه، ومسقوف بالحجارة العريضة الثقيلة التي يصعب نقلها أو أزالتها؛ لتقليل التبخر، والحفاظ على المياه من التلوث.

وفي هذا العمل بُعد بيئي حيث يمنع التبخر تماما أو يقل إلى أبعد الحدود، كما حقق بعدا صحيا بتغطية القنوات حتى لا تكون عرضة للعبث، فلا تفتح إلا من قبل مسئول إدارة العين. وتتخلل هذا الجزء من القنوات عبّارات تسمح بمرور مياه الأمطار والسيول من بطون الأودية والشعاب في فصل الشتاء[149].

بعد أن أوصلت المياه إلى عرفة، استمر عمل القنوات والبازانات[150] التي تتغذي من مياه القنوات باتجاه مكة، فقد أخرجت قنوات من أرض عرفات إلى خلف طريق ضبّ[151] إلى مزدلفة[152]، حيث يوجد مقر لعين زبيدة مجاور للمشعر الحرام، لتصبّ

(148) النورة: من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس. ولها استخدامات عديدة، وتشمل البناء وما يرتبط به من أعمال زخرفية، كما يستخدم في تجصيص المباني. للمزيد، ينظر: غباشي، مصانع النورة بمكة، ص56 وما بعدها.

(149) أبو رزيزة، تطوير واستثمار أوقاف عين زبيدة، ص121-2.

(150) يقول الفيروزآبادي: البازان: حوض يغتسل فيه، وقد يتخذ من نحاس. وأهل مكة يقولون بازان للأبزن الذي يأتي إليه الماء عند الصفا، يريدون آب زن؛ لأنه شبه حوض. القاموس المحيط، ج2، ص1551(بازن).

(151) هو الجبل الذي يقوم بأسفله مسجد الخيف. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص451. المعروفة اليوم باسم القناطر.

(152) وتكون على يسار المتجه إلى عرفة. الحربي، المناسك، ص508.

العين في برك ثم يتوجه من مزدلفة مارا بوادي النار. وهناك بازان عند رأس الجبل إلى المفجر[153]، ثم يتوجه منحدرا خلف جبل منى إلى فتحات موازية لمدرج منى، ومنها إلى بئر مطوية المعروفة ببئر زبيدة الواقعة خلف منى في وادي عرنة[154]. وهنا تنتهي أعمال القناة[155].

ويظهر أن زبيدة كانت تطمح إلى ربط مياه عين وادي النعمان بعين المشاش، فتُحقق بذلك أعظم مشروع مائي بمكة، فتتوفر المياه في المشاعر في موسم الحج، وبعد انتهاء الموسم تسال المياه إلى مكة. ولكن هذا المشروع لم يتم.

أما في المدينة، فلم ترد في مصادرنا إشارات إلى وجود مشكلة في توفير المياه. ويعود ذلك إلى طبيعة موقعها حيث تكثر بها العيون والآبار[156]. كما أنها لم تتعرض للسيول كمكة التي كانت تطمر عيونها وآبارها.

توفرت المياه في المدينة من خلال الآبار الموجودة في الأحياء والبيوت، إضافة إلى العيون التي من أشهرها عين الزرقاء[157] الواقعة جنوب غرب المدينة التي تعد العين

(153) ما بين الثنية التي يقال لها الخضراء إلى دار يزيد المنصور. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص163.

(154) وادي بحذاء عرفات. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص111.

(155) الحربي، المناسك، ص509. ويشير الحربي إلى أن سقاية أم جعفر تبعد عن مسجد عرفة ثلاثة أميال. الزواوي، بغية الراغبين، ص7.

(156) تخترق منطقة المدينة عدة أودية، من أهمها وادي بطحان ووادي القطيعة، ثم يلتقيان بوادي قناة الماء، وكان لتعدد هذه الأودية أثره في غزارة المياه . اليعقوبي، البلدان، ص76، الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ص 292-4.

(157) سميت بعين الأزرق نسبة إلى والي المدينة مروان بن الحكم لزرقة عينيه. الذي نفذ مشروعها بناء على رغبة الخليفة معاوية. السمهودي، خلاصة الوفا، ص468. وقد أشار الأنصاري إلى السبب الذي دفع الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة 50هـ بعد أن رأى راحة أهل الشام في حصولهم على المياه الجارية من الأنهار في بلاد الشام. وكان هدفه من إيصالها استمالة أهل المدينة إليه. آثار المدينة، ص262-3.

الرئيسة لإيصال المياه إلى أحياء المدينة المنورة[158]. ومن العيون أيضا عين الحيف الواقعة شمال المدينة[159].

الأوقاف لسكن الحجاج والمجاورين بمكة:

تعود أول إشارة لوقف المرأة لأجل السكن إلى رملة بنت عبد الله بن عبد الملك بن مروان، التي أوقفت دارا بمكة وتصدقت بها ليسكنها الحجاج والمعتمرون. واستمرت الدار تؤدي دورها بعد وفاتها، فقد أوقفت لها بالشام وقوفا كثيرة؛ كانت تصرف غلتها على احتياجات هذه الدار ضمانا لاستمرار وظيفتها[160].

تُعد الخيزران زوج الخليفة المهدي من سيدات البلاط العباسي المشهورات في مجال الوقف في مكة. فقد كانت السيدة تتمتع بثروة كبيرة تغل عليها سنويا "مائتي ألف وستين ألفاً من الدنانير"[161]. هذه الثروة تؤهلها للقيام بمثل هذه المبرات. يدفعها إلى الإكثار منها التقرب إلى الله وطلب الثواب.

قدِمت الخيزران إلى مكة عام (171هـ) قبل موسم الحج، وأقامت بمكة إلى أن حجت، وخلال إقامتها أغدقت العطايا والصدقات على الفقراء من أهل مكة. كما اشترت دورا بالصفا إلى جانب دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وأنشأت بها مسجدا عرف بمسجد المختبئ[162].

ومن مآثر الخيزران في مكة أيضا أنها جعلت الموضع الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مسجدا، وقد قامت بإخراج ذلك المكان من دار محمد بن يوسف

(158) المراغي، تحقيق النصرة، ص 135.

(159) الأنصاري، آثار المدينة، ص102.

(160) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص246.

(161) المسعودي، مروج الذهب ج3، ص348؛ الذهبي، تاريخ، ج4، ص615.

(162) القطبي، أعلام العلماء، ص81.

الثقفي، التي كان قد باعها له بعض ولد عقيل بن أبي طالب[163]. كما اشترت دارا بمكة وجعلتها وقفا لسكنى الحجاج[164].

وشاركت خالصة جارية الخيزران سيدتها في أعمال الخير فلها آثار جليلة في المدينتين: مكة والمدينة، فقد اشترت دارا وأوقفتها بمكة[165]. كما اشترت دورا أخرى مجاورة للمسجد النبوي ووقفتاه لسكنى الزوار[166].

أما السيدة زبيدة، فقد اشترت عدة دور في مكة، أوقفتها لتكون سكنا الحجاج[167]. كما اشترت عدة دور وهدمتها وأنشأت مكانها دارا عرفت بدار زبيدة[168]. وشيدت السيدة أرجوان زوج الخليفة المقتدر عدة دور خيرية بمكة[169].

الخاتمة والتوصيات:

يعد تطور العمل الخيري والوقف في المجتمع الإسلامي استجابة حقيقية لتعاليم الدين التي تدعو إلى وحدة المجتمع وتكافله. ويمثل في الوقت نفسه جانبا طوعيا، أقبل

---

(163) الفاسي، العقد الثمين، ج8، ص214.

(164) وقد استمرت الدار تؤدي عملها الموقوفة لأجله حتى مطلع القرن الخامس، حيث استولى عليها والي مكة، وجعلها رباطا لإقامة الحجاج في فترة الموسم. الفاكهي، المنتقى، ص84؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص330؛ النهروالي، الأعلام، ص98.

(165) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص234.

(166) السمهودي، وفاء الوفا، ج1، ص627.

(167) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص252؛ السباعي، تاريخ مكة، ج1، ص181.

(168) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص252. يذكر الأزرقي الدور التي اشترتها، منها دار أبي البختري بن هاشم بن أسد، ودار جعفر بن يحيى. أخبار مكة، ج2، ص96، ص224، ص252. استمرت دار زبيدة تؤدي دورها حتى عهد الخليفة المقتدر. فقد أمر عام (306هـ /918م) بوصل مسجد دار الندوة بالمسجد الحرام حتى أصبح جزءاً منه. كما أمر بالاستفادة من الساحة التي كانت بين دارين لزبيدة، فهدمتا، وألحقتا بالمسجد من الجهة الغربية، وعرفت هذه الزيادة بزيادة باب إبراهيم. ابن فهد، إتحاف الورى، ج2، ص366.

(169) كحالة، أعلام النساء، ج4، ص192.

عليه المسلمون باعتباره من وسائل القرب إلى الله، فهو نوع من الصدقة الجارية التي لا ينقطع نفعها بوفاة صاحبها.

هذا الدور الذي أدّاه العمل الخيري والوقف في تقديم الخدمات للناس سرعان ما تحول إلى أداء دور أكبر في حياة المجتمع من خلال تحمله لأعباء كثيرة عن عاتق الدولة، فقد صار الممول الأكبر للمشاريع المختلفة: الثقافية والطبية والاجتماعية، وإنشاء البنية التحتية كالشوارع والدروب.

لذا يمكن أن نخلص من هذه الدراسة إلى ما يلي:

1. كانت مساهمة المرأة في العمل الخيري والوقف خطوة أخرى في تطور فلسفة الوقف وأهدافه. ويظهر هذا جليا في نوعية الخدمات التي ساهمت المرأة في توفيرها للمجتمع من خلال ما تصدقت به وأوقفته، والتي تعد نقلة نوعية في مشاريعه. ولعّل طريق الحج العراقي بين الكوفة ومكة خير دليل على ضخامة مشاريع المرأة الخيرية في العصر الإسلامي. فإن هذا الطريق والاهتمام به والمحافظة على ديمومته بحاجة إلى جهود الدولة بمختلف مؤسساتها. فالطريق ليس عدة أميال وعدة محطات، بل يتجاوز في طوله مئات الأميال.
2. ولما كانت الغاية من الوقف الثواب والأجر. لذا نجد المرأة في وقفها كانت تتحرى المكان الذي تتضاعف فيه الحسنات، فكانت مكة المكرمة التي شرفها الله باحتضان البيت العتيق والكعبة المشرفة. إضافة إلى ذلك، فقد خصّها الله بمضاعفة الأجر، فالحسنة بمائة ألف. كما أنها المكان الذي ترنو إليه عيون المسلمين كل عام لأداء فريضة الحج. لهذه الأسباب أقبلت المرأة على الوقف بمكة، فقامت بتوفير ما يحتاجه سكانه وزواره من خدمات، وخاصة الماء والسكن.
3. ويلاحظ أن العمل الخيري والوقف مع مطلع القرن الثالث الهجري تحول من جهود فردية متناثرة تهدف إلى توفير الطعام للفقراء إلى مؤسسة اجتماعية تهدف إلى الرقي بالمجتمع الإسلامي في شتى المناحي. وفي الوقت نفسه أصبحت هذه المؤسسة

تحمل عبئا كبيرا عن الدولة، من خلال إنشاء الكثير من المؤسسات الخدمية التي هي بالأصل من صميم اختصاصات الدولة.

4. ولما أثبت العمل الخيري والوقف دوره ومساهمته الفعالة في النهوض بالمجتمع في العصور الاسلامية الأولى، مساندا لجهود الدولة الإسلامية، وبالتالي فإن المطالبة بإحياء ذلك الدور للوقف من جديد في حياتنا المعاصرة أصبح ضرورة ملحة. ولأجل إحياء نظام الوقف من جديد يُقترح ما يلى:

أولاً: أن تصدر الحكومات قوانين لحماية أموال الواقفين وعدم المساس بها واحترام حجة الواقفين ما دامت لا تخالف أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

ثانياً: استصدار ميثاق أو قانون للوقف يواكب التطورات المعاصرة ولا يخرج عن أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية لإدارة أموال الوقف وفقاً لمقاصد الإسلام وطبقاً لسياسات استراتيجية وخطط موضوعية وبرامج سليمة حتى يحقق مقاصده السامية.

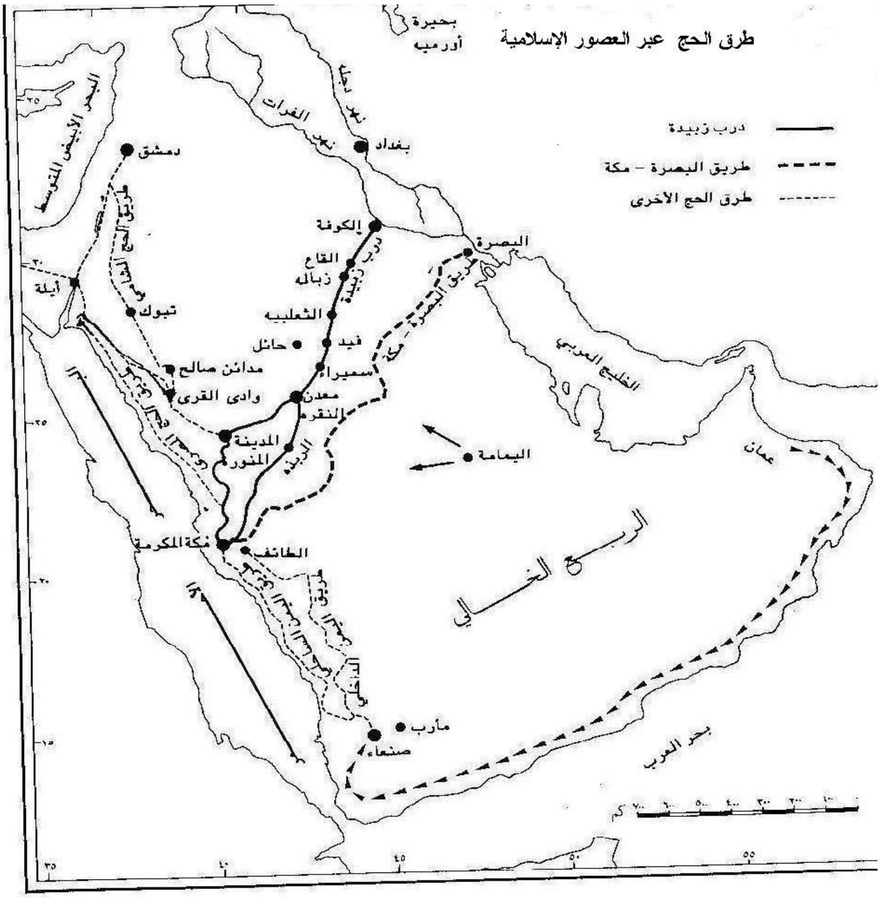
ثالثا: تنمية الوعى الدينى لدى المسلمين الأغنياء وبيان المنافع الأخروية باعتبار الوقف من نماذج الصدقة الجارية التى تنفع المسلم بعد موته، وهذا يتطلب وجود خطة إعلامية يتولى تنفيذها المؤسسات الدعوية الحكومية والخاصة.

رابعا: تطوير سبل وأساليب استثمار الوقف بما يتفق مع التطورات المعاصرة ولا ينحصر الأمر على الاستثمار العقارى أو تقديم الخدمات فقط، ويمكن الاستفادة من صيغ الاستثمار الإسلامية المعاصرة وكذلك من تجارب المؤسسات المالية الإسلامية الناجحة.

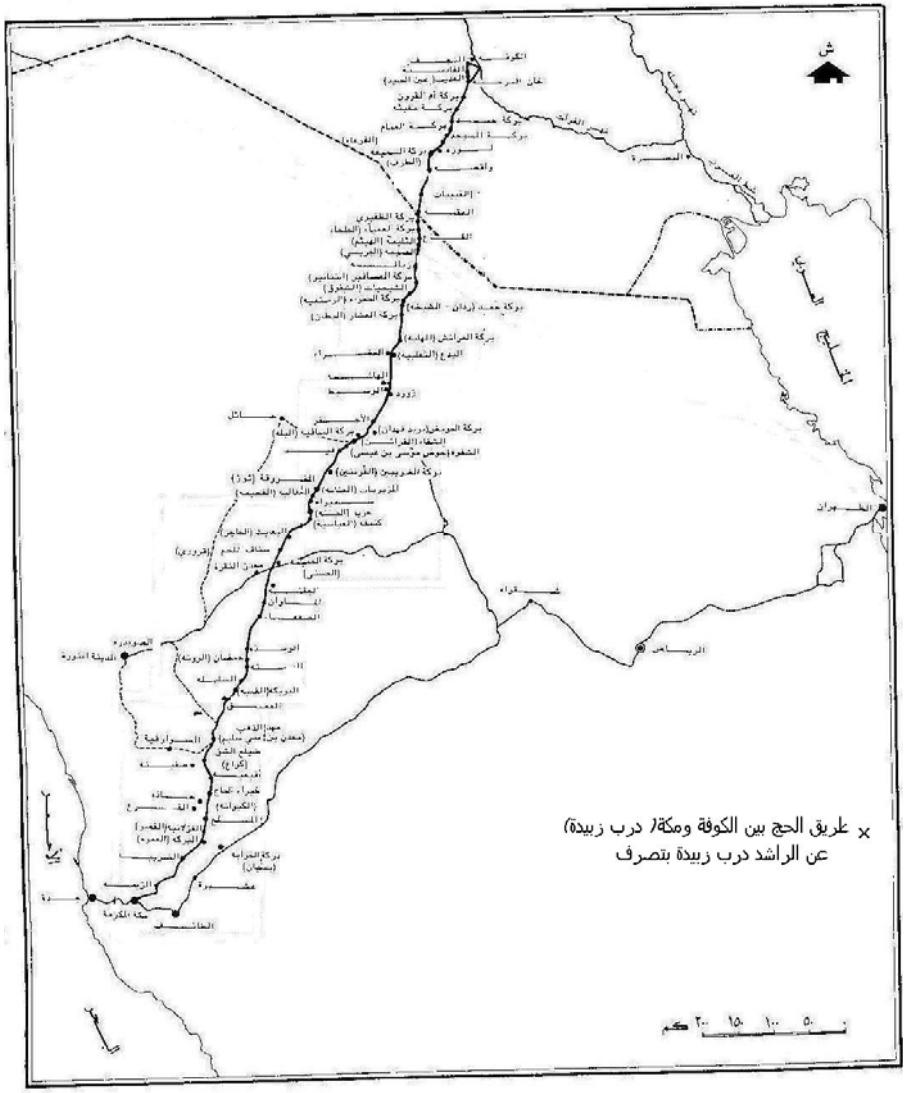
خامسا: تشجيع المؤسسات الاقتصادية في البلاد الاسلامية بوقف جزء من أموالها لأغراض الرعاية الاجتماعية باعتبار ذلك من صميم مسئولياتها الاجتماعية وإعفائها من الضرائب بمقدار هذا القدر.

الملاحق:

الملحق رقم (1): خريطة توضح طرق الحج إلى مكة.



الملحق رقم (2): خريطة توضح طريق الحج من الكوفة إلى مكة "درب زبيدة".



المصادر الأولية:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ/1232) الكامل في التاريخ، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1967.
3. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت 244هـ/858م) أخبار مكة، تحقيق رشيد ملحس، ط3، مكة، دار الثقافة، 1399هـ.
4. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/869) صحيح البخاري،
5. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن محمد الطنجي (ت777هـ/1375) الرحلة، بيروت، دار صادر، 1964.
6. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (279هـ/892) السنن، حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، (د ت).
7. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد المعروف (ت614هـ/1217) الرحلة، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري) (د ت).
8. الجرجاني، علي بن محمد (ت 716هـ/1316) التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1413هـ.
9. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/1200) المنتظم في أخبار الملوك والأمم، حيدر آباد الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1357- 1359هـ.
10. الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم (ت285هـ/898) كتاب المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، 1401هـ/1981.
11. الحطاب، أبو عبد الله محمد المغربي (ت 954هـ/1547) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر، (د.ت).
12. الخصاف، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت261هـ/874) أحكام الأوقاف، ط1، مصر، ديوان عموم الأوقاف المصرية، 1322هـ.
13. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ\1070) تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، (د ت).
14. ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ/1283) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1972.
15. خليفة بن خياط، بن أبي هبيرة الليثي (ت240هـ/854) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط2، بيروت، دار القلم ومؤسسة الرسالة، 1397هـ.
16. دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب (ت702هـ/1302) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، بيروت، دار الكتب العلمية (د. ت).

17. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ/1347) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، تحقيق بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003.
18. الزواوي، محمد صالح (عاش حتى مطلع القرن العشرين) بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين، (د م)، المطبعة الخيرية، 1330هـ\1911.
19. السمهودي، علي بن أحمد (ت911هـ\1505) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1981م.
20. ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النمري (ت264هـ/877) تاريخ المدينة، ط1، تحقيق محمود شلتوت، المدينة المنورة، 1393هـ.
21. الشربيني، محمد بن أحمد (ت977هـ/1569) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، بيروت، دار الفكر، (د ت).
22. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/922) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويدان، 1967.
23. ابن ظهيرة، جمال الدين محمد بن جار الله (ت986هـ/1578) الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف، القاهرة، 1938.
24. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت571هـ/1174) تاريخ دمشق، تحقيق محيي الدين عمر العمروي، دمشق، دار الفكر، 1415هـ.
25. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت832هـ/1428) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، القاهرة، 1956.
26. ....، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمود محمد الطناحي، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1388هـ/1969.
27. الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت بعد 272هـ/885م)، المنتقى في أخبار أم القرى، بيروت، 1967.
28. ابن فهد، عمر بن محمد الهاشمي (ت885هـ/1454) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق محمد شلتوت، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1404هـ.
29. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1414) القاموس المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1997.
30. القطبي، عبد الكريم بن محب الدين (ت1014هـ/1605) إعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام، علقّ عليه أحمد محمد جمال، ط2، الرياض، دار الرفاعي، 1407هـ/1987.
31. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت774هـ/ 1372)، البداية والنهاية، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، 1974.
32. المراغي، زين الدين أبو بكر بن الحسين، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، صححه وعلق عليه محمد عبد الجواد الأصمعي، ط1، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، 1374 هـ، ص 135.

33. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، القاهرة، دار السعادة، 1965.

34. الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ/874) صحيح مسلم، ط1، دار السلام، الرياض، 1419هـ.

35. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت855هـ/1441) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 1955.

36. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت711هـ/1311) لسان العرب، ط2، اعتنى بتصحيحه أمين عبد الوهاب ومحمد العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1997.

37. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي (303هـ/915) سنن النسائي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د ت).

38. النهروالي، قطب الدين الحنفي المكي (ت990هـ/1582)، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، بيروت (د. م)، 1963.

39. ابن هشام (ت218هـ/833) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994.

40. اليافعي، أبو محمد عبد الله بن سعد عفيف الدين (ت768هـ/1365) مرآة الجنان وعبرة اليقظان،ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997.

41. ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر ط2، 1995.

42. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف (ت 292هـ/904م) تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، (د ت).

43. ....، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر، تحقيق محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

المراجع الحديثة والبحوث:

44. أمين، محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، القاهرة، دار النهضة العربية، 1980.

45. الأنصاري، عبد القدوس، آثار المدينة المنورة، ط3، المدينة المنورة، المطبعة السلفية، 1393هـ/1973.

46. بنعبد الله، محمد بن عبد العزيز، الوقف في الفكر الإسلامي، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1416هـ.

47. الراشد،سعد عبد العزيز، درب زبيدة، طريق الحج من الكوفة إلى مكة، الرياض، دار الوطن للنشر، 1414هـ/1993.

48. الزيد،عبد الله بن أحمد، أهمية الوقف وأهدافه، الرياض، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، 1426هـ.

49. جواد، مصطفى، سيدات البلاط العباسي، بيروت، دار الفكر العربي، (د ت).

50. السباعي،أحمد، تاريخ مكة، الرياض منشورات الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، 1419هـ/1999.

51. الشريف، أحمد، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ط1، القاهرة، دار الفكر، 2003.

52. العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية،الرياض، دار اليمامة للنشر، (د ت).

53. عشوب، عبد الجيل عبد الرحمن، كتاب الأوقاف، ط2، مصر، مطبعة الرجاء، 1935م.

54. القحطاني، راشد، أوقاف السلطان الاشرف شعبان على الحرمين، الرياض، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1414هـ/1994.

55. الكبيسي، محمد عبيد، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ط1، الرياض، منشورات وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، 1426هـ.

56. كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1977.

57. الوشمي، صالح، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج على منطقة القصيم، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994.

58. الدهاس، فواز، الوقف: مكانته وأهميته الحضارية، ندوة مكانة الوقف في الدعوة والتنمية المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة 18- 20 شوال، 1420هـ، الرياض، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية الأوقاف، 1426هـ.

59. أبو رزيزة، عمر سراج، تطوير واستثمار أوقاف عين زبيدة لإعمارها وتشغيلها وصيانتها، مجلة أوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد9، السنة الخامسة، 2005.

60. غباشي، عادل محمد، مصانع النورة في مكة حتى نهاية العصر العثماني، الرياض، مجلة الدّارة، العدد1، سنة 23، 1418هـ.

61. المحمادي، محمد جاسم، ولاية عبد الله بن عامر على البصرة وإصلاحاته الاقتصادية، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، عدد 21.

Woman's Contributions in Waqaf and Well-fair Work until the End of the Third century after Hejrah. An Applied Study on the Iraqi Pilgrimage Road and Securing Services in Holly Makkah

Mohammad Abdullah Ahmad Aqadahat

Department of History, College of Education, DammamUniversity
Dammam, Saudi Arabia

Abstract:

This study aims to highlight the woman's role in charitable activities and Waqf, as well as her contributions in consolidating Islamic culture, hand in hand with the man. The Muslim woman has exerted enormous efforts during the period investigated in this study in establishing and developing charity organizations that contributed to the development and cultivation of the society.

The woman was motivated by her desire to gain Allah's awards. Some of most celebrated women who had great contributes in charity world were of the Abasids, such as AL-khaizaran and Zobaida. This study addressed the woman's efforts in these fields through two major approaches:

First: The woman's role in constricting the large Hajj road between Kufa and Makkah. These efforts were reflected by paving the roads for pilgrims (Hajij), as well as by setting up rest–houses and digging wells and lakes to secure water along the road.

Second: The woman's contributions in securing all necessary services for pilgrims in Makkah.

Women, of this study, exerted the utmost efforts in securing all services to relief pilgrims. Special efforts were given to water in and out of Aakkah, Mushier, Mount Arafat and Mina in addition to securing accommodations for housing pilgrims through purchasing houses especially for this goal.

Key Words: Iraqi Pilgrimage road, Woman's Contribution, Waqaf.